

من أساليب العبرية في الدعاء

للكاتب ابراهيم السامرائي
عضو مؤسس في الجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

أريد أن أعرض لكلمة « الدعاء » في لغة التنزيل العزيز ثم
أخلص من ذلك إلى النظر في الدعاء لغة واسلوباً .

قال الله تعالى : « وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم
صادقين » (١) .

قال أبو اسحق الزجاج

يقول : ادعوا من استدعيتهم طاعته ورجوتهم معونته في الاتيان بسورة
مثله « (٢) » .

وقال الفراء : « وادعوا شهداءكم من دون الله » .

يقول : ألتهكم ، يقول : استغيثوا بهم ، وهو كقولك للرجل :
إذا لقيت العدو خالياً فادع المسلمين ، ومعناه : استفت بالمسلمين ،
فالدعاء هنا بمعنى الاستغاثة .

وقد يكون الدعاء عبادة كما في قوله تعالى : « ان الذين تدعون
من دون الله عباد أمثالكم (٣) » ، وقوله بعد ذلك : فادعوهم فليستجيبوا
لكم .

(١) ٢٢ البقرة

(٢) اللسان (دعو)

(٣) ١٦٤ الامرات

يقول : ادعوهم في النوازل التي تنزل بكم ان كانوا آلهة كما
تقولون يجيبوا دعاءكم ، فإن دعوتهم فلم يجيبوكم فأنتم كاذبون
أنهم آلهة .

وقال ابو اسحاق في قوله : « اجيب دعوة الداع اذا دعان » (٤) :
معنى الدعاء لله على ثلاثة أوجه : فضرب منها توحيده والثناء
عليه كقولك : يا الله لا اله الا انت ، وكقولك : ربنا لك الحمد ،
اذا قلته فقد دعوته بقولك : « ربنا » ثم اتيت بالثناء والتوحيد .

ومثله قوله تعالى : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين
يستكبرون عن عبادتي ... » (٥) فهذا ضرب من الدعاء ، والضرب الثاني :
مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه كقولك : اللهم اغفر لنا ،

والضرب الثالث : مسألة الحظ من الدنيا كقولك : اللهم ارزقني
مالا وولدا ، وان سمي هذا جميعه دعاء ، لان الانسان يصدر في هذه
الاشياء بقوله : يا الله يا رب يا رحمن ، فلذلك سمي دعاء .

وفي حديث عرفة : اكثر دعائي ودعاء الانبياء قبلي بعرفات لا اله
الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ،
وانما سمي التهليل والتحميد والتمجيد دعاء لانه بمنزلته في استجابة
ثواب الله وجزائه كالحديث الآخر :

اذا شغل عبدي ثناؤه علي عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي
السائلين ،

(٤) ١٨٦ البقرة

(٥) ٦٠ غافر

واما قوله عز وجل :

« فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين » (١) ،
المعنى أنهم لم يحصلوا مما كانوا ينتحلونه من المذهب والدين وما يدعونه
الا على الاعتراف بأنهم كانوا ظالمين ، هذا قول أبي اسحاق (٢) .

قال : والدعوى اسم لما يدعيه ، والدعوى تصلح ان تكون في
معنى الدعاء ،

لو قلت : اللهم اشركنا في صالح دعاء المسلمين او دعوى المسلمين
جواز ، حكى ذلك سيبويه ، وأنشد :

قالت ودعواها كثير صخبه

واما قوله تعالى : « وآخر دعواهم ان الحمد لله رب
العالمين » (٣) فيعني ان دعاء اهل الجنة تنزيه الله وتعظيمه ، وهو قوله :
« دعواهم فيها سبحانك اللهم » (٤) ثم قال : « وآخر دعواهم ... » .

أخبر أنهم يبتدون دعاءهم بتعظيم الله وتنزيهه ويختمونه بشكره
والثناء عليه ، فجعل تنزيهه دعاء وتحميدته دعاء ، والدعوى هنا معناها
الدعاء .

وروي عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : الدعاء
هو العبادة ، ثم قرأ : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين
يستكبرون عن عبادتي » (٥) .

(٦) ه الامراء

(٧) اللسان (دعو)

(٨) ١٠ يونس

(٩) ١٠ يونس

(١٠) ٦٠ مائت

وتسال مجاهد في قوله :

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » (١١) ،
قال : يصلون الصلوات الخمس .

وروي مثل ذلك عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى :
« لن ندعو من دونه الها » (١٢) ، أي لن نعبد الها دونه .
والدعاء : الرغبة الى الله — عز وجل .

وفي الحديث : لولا دعوة اخينا سليمان لاصبح موثقا يلعب به
ولدان أهل المدينة ، يعني الشيطان الذي عرض له في صلاته ، وأراد
بدعوة سليمان — عليه السلام — قوله : وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد
من بعدي .

ومنه الحديث : « سأخبركم بأول امرئ يدعو أبي ابراهيم وبشارة
عيسى » ، دعوة ابراهيم — عليه السلام — قوله تعالى : « رينا وابعث
فيهم رسولا يتلو عليهم آياتك » (١٣) ، وبشارة عيسى — عليه السلام —
قوله تعالى : « ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » .

وفي حديث معاذ — رضي الله عنه — لما أصابه الطاعون قال :
ليس برجز ولا طاعون ولكنه رحمة ربيكم ودعوة نبيكم — صلى الله عليه
وسلم — ، أراد قوله : اللهم اجعل فناء أمتي بالطعن والطاعون .
: دعوت الله له بخير وعليه بشر .

(١١) ٢٨ الكهف

(١٢) ١٤ الكهف

(١٣) ١٢٩ البقرة

والدعاء واحد الإدمية .

هذا هو معنى الدعاء ودلالته في اللغة والاستعمال .

وقد بلغت العربية في أسلوب الدعاء مبلغا قل أن نقف على نظيره في سائر اللغات القديمة .

قلت : « اللغات القديمة » لاختصاص أن هذا الأسلوب في صورته ودلالته خاص بالعربية القديمة وأن العربية المعاصرة قد خلت من هذه الصور البيانية التي تبرز في أساليب الدعاء والأساليب الأخرى . إلا ترى أن هذه العربية الجديدة قد خلت من « المثل » وأن كل ما يتمثل به العربون أحيانا هو مثل قديم استمر لمطالب الحياة الجديدة في بعض الأحيان . وقد يقال : أن اللغات في عصرنا غير محتاجة إلى هذه الأساليب الفنية لأن حاجات جديدة قد جدت صرقت العربيين إلى أن يجدوا في اللغة ما يفي بها .

ومن هنا كانت دراسة هذه الأساليب القديمة والوقوف عليها شيئا يدخل في معرفة تاريخ هذه اللغة العريقة .

قالوا : الدعاء ينصرف للخير كما ينصرف للشر ، وقد يدرك هذا أحيانا باستعمال الأداتين : « اللام » في الخير ، و « على » في الشر فيقال : ادعوك ، وأدعو عليك .

ويتجاوز استعمال هاتين الأداتين أسلوب الدعاء إلى أسلوب « الخير » فينصرف كذلك إلى الخير والشر فيقال مثلا : يوم لنا ويوم علينا وقد بقي في استعمال « على » شيء من هذا الجنوح إلى

الشر (١٤) ، ولعل من أجل ذلك عيب قول أبي تمام في مطلع قصيدته البائية :
على مثلها من أربع وملاعب أنيلت مصونات الدموع السواكب
قلت : ان الأدب القديم قد جمل بكثير من فنون الدعاء ولنعرض
لذلك فنقول :

تختلف جمل الدعاء في العربية فهي قد تبدأ بالفعل ، وقد تبدأ
بالاسم المرفوع ، وقد تبدأ باللام ومدخوله ، وكثيرا ما يأتي معنى
الدعاء في عبارة صدرت بالمصدر المنصوب .
نمما بدىء بالفعل قولهم :

هديت خيرا (بالبناء للمفعول) ، ولقيت خيرا ، وصادفت رشيدا ،
ووقيت الشر ، وسهل الله عليك ، وخرج الله عنك ، كل ذلك وغيره
ما يتقرب به دعاء . ولك ان تتسع في هذا فتنشئ ما تريد مما ترمي
به الى الخير مفصحا عن رغبتك في ذلك ، فيؤدي الدعاء كان تقول :
هداك الله وبلغت مرادك ، ووفقك الله .

ومثل هذا ما ينصرف الى الشر ارادة الدعاء نحو :

عميت خيرا ولقيت شرا ، وقاطك الله ، ولعنك الله وغير ذلك .
ومن هذا الفاظ التصلية والتسليم والرحمة والرضوان على
النبيين والاولياء وسائر الصالحين فنقول في « الصلاة والسلام » على
نبيينا محمد : صلى الله عليه وسلم .

ونقول : عيسى وموسى وسائر الانبياء : عليهم السلام .

(١٤) على انه ينبغي الاحتراز في هذا فنقول : قد تسعمل « على » في الدعاء للخير كقولنا :

عيسى — عليه السلام — وغيره من انبياء الله ملا .

كان يقال : عليه ازكى الصلاة واتم التسليم .

ونقول : ومن حديث علي — عليه السلام — أو رضي الله عنه ،
وقد ورد أيضا كرم الله وجهه .

ونقول : وكان عثمان بن عفان — رضي الله عنه — .

كما نقول : ومما أثر عن الإمام الشافعي وأضرابه : رضي الله عنهم
وقد تبدأ عبارة الدعاء بالاسم المرفوع نحو :

رحمة الله عليه ، ورضوان الله عليه ، وسلام الله عليه . . .
كما نقول : لعنة الله عليه (١٥) ، وقد يعطف عليه كقولهم :
لعنة الله وغضبه عليه .

وقد يؤخر المرفوع فيبدأ باللام ويدخوله نحو .

لك الحمد ولك الخير ولك السعد .

كما نقول : لك الله ، قال المتنبي في رثاء جدته :

لك الله من مفعومة بحبيبيها قتيلة شوق غير ملحتها وصبا

كما يقال : لك الويل ، قال الفرزدق :

لك الويل لا تقتل عطية أنه أبوك ولكن غيره فتبدل

وقد ترد عبارة الدعاء مصدرية — « لا » النافية بعدها فعل ماض
نحو : لا فض فوك في استحصان قول أحدهم كأنه قيل : أحسنت .
والمعنى : لا تكسر أسنانك ، والفم ههنا الأسنان كما يقال :
سقط فوهه يعنون الأسنان .

وقد ترد العبارة بالفعل المضارع : لا يفضض الله فاك .

(١٥) أقول : والدعاء باستعمال « غضب الله » ينزل بالدموع عليه من لنة العاقبة أيها في
مصرنا .

ومن ذلك حديث النابغة الجعدي لما انشد الرسول الكريم القصيدة الرائية قال : لا يفضض الله فاك ، قال : فعاش مائة وعشرين سنة لم تسقط له سن .

وفي حديث العباس بن عبد المطلب أنه قال : يا رسول الله اني اريد أن امتدحك ، فقال : قل لا يفضض الله فاك ، ثم إنشده الابيات القافية .

ومثل هذا : لا عذمتك ، ولا ظفر حاسدوك .

ومن المناسب ان نشير الى أن الفعل « زال » المفيد للاستمرار يترشح للدعاء اذا سبقه « لا » كقول ذي الرمة :

الا يا اسلمي يا دار مي على البلى ولا زاله منهلا يجرعائك القطر

ومن المفيد ان اشير قبل الكلام على « انهلال القطر » في البيت ، الى ان صدر البيت قد حفل بنمط آخر من الدعاء وذلك بالامر فمي « يا اسلمي » والخطاب الى « دار مي » . يدعو الشاعر للدار ان تسلم على البلى فلا ينال منها الزمان شيئا .

اقول : واستعمال الامر كثير في لغة الدعاء ، ولعله اكثر سيرة من الصيغ الاخرى وهذا يعني ان « الامر » قد خرج الى الدعاء والالتماس رغبة في شيء ينصرف الى الخير حينا والى الشر حينا آخر . ويأتي في لوازم هذه الجملة الدعائية أسلوب الدعاء المتحضض للدعاء كقولنا : اللهم انصرنا على الاعداء ، وربنا اهدنا الى سواء السبيل . وانت واجد من هذا الأسلوب الشيء الكثير مما حفلت به لغة التذليل العزيز كما سنرى .

ولنعمد الى بيت ذي الرمة فنقول ان دعاءه بانهلال القطر أسلوب درج عليه العرب في جاهليتهم واسلامهم . وان هذا الدعاء

يكاد يكون أحيانا كالتحية الا ترى أن هذا يتحقق في قول النابغة :
نبئت نعبا على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذك العاتب الزاري
فاذا كان غيث (١٦) كان منه لهم سقي وخصب ثم رعي .

وليس قولهم : « رعاك الله » الا مشيرة الى هذا الاصل القديم
الذي هو الرعي للسائمة من الابل وغيرها ، فكان قولهم « رعاك الله »
المراد بها « الرعاية » تلمح الى دأب الرعاء مع ابلهم .

ومن الغيث قالوا جسادك الغيث أي أصابا غيث جود وهو
الفزير .

والدعاء بالسقي كثير في الادب القديم ، قال جرير :

أتذكر اذ تودعنا سلمى بفرع بشامة سقي البشام
وقوله :

متى كان الخيام بذى طلوح سقيت الغيث أيتها الخيام
وليس اتفاقا أن يجيء « الغوث » بمعنى النجدة من « الغيث »
وهو الرحمة والخصب والخير والبركة ، وهو غير « المطر » في هذه
الخصوصية الدلالية .

قال الاصمعي : أخبرني أبو عمرو بن العلاء قال :

سمعت ذا الرمة يقول : قاتل الله أمة بني فلان ما أنصحتها !

قلت لها : كيف كان المطر عندكم ؟ فقاتلت غثنا ما شئنا .

(١٦) أقول فرق العرب بين الغيث والمطر فكان الغيث في الاغلب الامم خيرا وخصبا وبركة ،
ولم يكون عذابا ألينة ، اما المطر فينصرف الى العذاب ، كما ينصرف الى حقيقته فير
أنه لم يرد في القرآن الا في معرض العذاب والشر وذلك في خمس عشرة آية في سور
مختلفة .

والمعنى : سقينا ما شئنا . وهكذا عدلت عن « المطر » في سؤال
السائل الى « الغيث » ..

وقد تأتي عبارة الدعاء مبدوءة بمصدر منصوب كقولهم : سقيا
ورعيا ، وحمدا لك اللهم ، وأهلا وسهلا وغير هذا .

وقد يأتي أسلوب الدعاء رسما من رسوم الادب مما يقتضيه
الظرف وحسن المعاشرة ، ومن ذلك قولهم للمملك دعاء له :

« بالرفاء والبنين » أي بالالتمام والاتفاق وحسن الاجتماع .

قال ابن السكيت : وان شئت كان معناه بالسكون والهدوء
والطمأنينة ، ففي الحالة الاولى يكون الاصل « رفا » ، وفي الحالة
الثانية يكون الاصل « رفا » آخره ألف من قولهم : رفوت الرجل اذا
سكنه .

قالوا : رفاه ترفئة وترفيئا : دعاه : قال له : بالرفاء والبنين .
وقالوا : رقع بمعنى رفا . وفي الحديث : كان اذا رقع انسانا قال :
بارك الله عليك .

ومن هذا الباب قولهم في الدعاء للعاطس : يرحمك الله .

وهو التسميت اي ذكر الله — عز وجل — على كل حال ، وقيل :
معناه هداك الله الى السمت وذلك لما في العاطس من الانزعاج والقلق .

وقد سمته اذا عطس ، فقال له : يرحمك الله ، اخذ من
السمت الى الطريق والقصد ، كانه تضده بذلك الدعاء ، اي جعلك
الله على سمت حسن .

ومن هذا الباب أيضا ما يقال للعائر :

حوجا لك : اي سلامة .

ولما كان الحديث عن العائر فمن المفيد أن نشير الى ما جاء في هذا من قولهم :

التعس : العثر ، والتعس أن لا ينتمش العائر من عثرته وإن ينكس في سفل .

قال أبو اسحاق في قوله تعالى : « فتعسا لهم وأضل أعمالهم » ، يجوز أن يكون نصبا على معنى اتعسهم الله . وقال الأعشى :

بذات لوث عفناة إذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن أقول لها
ويدعو الرجل على بعيره الجواد إذا عثر فيقول : تعسا ! فإذا
كان غير جواد ولا نجيب فعثر قال له : لها .

وقد يجتزأ من « لها » بقولهم : عا لك عاليا للدعاء بالاقالة ، أنشد ابن الأعرابي :

أخاك الذي أن زلت النعل لم يقل : تعست ، ولكن قال : عا لك عاليا
ما جاء في الدعاء في لغة التنزيل :

قال تعالى :

الا بعدا لعاد قوم هود ٦٠ هود .

الا بعدا لثمود ٦٨ هود .

الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ٩٥ هود .

والبعد هنا الهلاك ، وقوله : بعدت ثمود اي هلكت ، قال مالك
ابن الزيب :

يقولون : لا تبعد ، وهم يدغنونني وأين مكان البعد إلا مكانيا

وقد فرق في الفعل بين البعد بمعنى الهلاك ، والبعد بمعنى
الابتعاد ففعل في الأولى « بعد » مثل « فرح » ، وفي الثانية : « بعد »
مثل « كرم » وهذا شيء من لطائف هذه اللغة الكريمة . قال المتنبي :

أبعد بعدت بياضا لا بياض له لانت أسود في عيني من الظلم
ومن الدعاء قوله تعالى :

تبت يدا أبي لهب

أي ضلنا وخسرنا ، وقال :

أخسر بها من صفقة لم تستقل تبت يدا صافقها ماذا فعل
ومن الدعاء أيضا قوله تعالى :

فتمسك لهم وأضل أعمالهم ٨ محمد .

أي هلكا لهم .

وقوله تعالى :

« واجعلني لك مغبنا » .

أي خاشعا مطيعا . وأخيت لله أي خشع وتواضع .

وفي التنزيل العزيز : « فتخبت له قلوبهم » أي تخشع .

ومن الدعاء أيضا قوله تعالى :

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ١٠ يونس .

« ولا تعدم الآية الأولى من « الناحية أن تكون مفيدة للدعاء لدى

من يتلوها :

الحمد لله رب العالمين .

ومثل هذا دعاء الصلاة : « لك الحمد ملء السموات والارض » .
ومن الدعاء أيضا قوله تعالى :

« دعواهم فيها سبحانهك اللهم وتحيتهم فيها سلام » ١٠ يونس .
وقد يتوصل الى الدعاء بالمصدر « حمدا » فيقال : حمدا لك اللهم .
ومن الدعاء في لفة التنزيل العزيز :

« فسحقا لأصحاب السعير » ١١ الملوك .

والسحق : البعد ، فكان المعنى فبعدا لأصحاب السعير .

ومكان سحق أي بعيد .

وفي التنزيل : « أو تهوي به الريح في مكان سحيق » .

وحديث « السلام » مستفيض في لفة التنزيل ، وهو في أي
كثير يراد به الدعاء ومنه :

وإذا جاءك آ الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم . ٥٤ الانعام

ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم . ٤٦ الاعراف

وتحيتهم فيها سلام . ١٠ يونس

لقد جاءت رسلنا بالبشرى قالوا سلاما قال سلام ٦٩ هود

سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ٢٤ الرعد

وسلام عليه يوم ولد ... ١٥ مريم

والسلام على يوم ولدته ... ٢٣ مريم

وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين ١٨١ الصافات

ومن الدعاء قوله تعالى :

« ربنا اطمس على أموالهم » ٨٨ يونس .

اي غيرها . وقد ورد « الشمس » في لغة التنزيل ومنه قوله :
« ولو نشاء لطمسنا على أعينهم »

وقال تعالى :

« الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » ٢٩ الزعد .
ذهب سيوييه بالآية مذهب الدعاء .

ويحسن بنا أن نقف طويلا على كلمة « طوبى » التي أفادت
الدعاء لنقول فيها شيئا وذلك لخصوصيتها واختلاف الاقوال فيها .

طوبى : فعلى من الطيب ، كأن الاصل « طيبى » فصير الى السواو
لمكان الضمة فيها .

ويقال : طوبى لك وطوباك .

قال يعقوب : ولا تقل : طوبيك .

وجاء في « التهذيب » : ان العرب تقول طوبى لك ، ولا تقول
طوباك .

وهذا قول اكثر النحويين الا الاخفش فانه قال : من العرب من
يضيفها فيقول : طوباك .

وقال أبو بكر : طوباك ان فعلت كذا ،

قال : هذا مما يلحن فيه العوام ، والصواب : طوبى لك ان
فعلت كذا وكذا .

وقالوا : طوبى : شجرة في الجنة .

وقرأ ثعلبة : « طوبى لهم وحسن مآب » فجعل « طوبى »
مصدرا كقولك :

سقياله . ونظيره من المصادر الرجعى ، واستدل على أن موضعه نصب بقوله :

« وحسن مأب » .

وهو خلاف ما ذهب سيبويه إلى أن موضع « طوبى » الرفع عطف عليه بقوله :

« وحسن مأب » يرفعوا .

قال ابن جنى : وحكى أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني نسي كتابه الكبير في القراءات ، قال : قرأ علي أعرابي بالحرم : « طيبى لهم » فأعدت فقلت : « طوبى » ، فقال : « طيبى » ، فأعدت فقلت : « طوبى » ، فقال : « طيبى » ، فلما طال علي قلت : طو طو ، فقال : طي طي .

قال الزجاج :

جاء في التفسير عن النبي — صلى الله عليه وسلم — : أن « طوبى » شجرة في الجنة .

وقيل : طوبى لهم حسنى لهم ، وقيل : خبر لهم ، وقيل : خيرة لهم .

وقيل طوبى اسم الجنة بالهندية وقيل بالحبشية (١٧) .

وقال قتادة : طوبى كلمة عربية ، تقول العرب : طوبى لك أن فعلت كذا وكذا ، وأنشد :

طوبى لمن يستبدل الطود بالقرى ورسلا بيقطين العراق وفومها

(١٧) قال الصاغاني : معلى هذا ينبغي أن تكون في الهندية « توبا » بالناء وذلك لأن الطاء

غير معروف في الهندية .

اقول : ومن قال : طوبى عربية فقد أدرك الصواب وذلك لا
اصل « طوب ، ط ي ب » من الاصول العربية القديمة في العربية
وسائر أخواتها من اللغات السامية .

ومن الدعاء قوله — عز وجل — :

قال : اعوذ بالله أن اكون من الجاهلين ٦٧ البقرة

قالت : اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ١٨ مريم

قال : معاذ الله انه ربي احسن مثواي ٢٣ يوسف
ومن الدعاء ايضا قوله تعالى :

هـ هـ لنا من لدنك رحمة ٨ آل عمران

والدين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ٧٤ الفرقان
وقوله تعالى :

وقال رب اوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي ١٩ — النمل
وقوله تعالى :

قاتلهم الله أنى يؤفكون ٤ المنافقون

ونجتزي بهذا القدر مما ورد من الدعاء في لغة التنزيل العزيز .
وفي الحديث : « طوبى للمفردين » أي الذاكرين الله كثيرا .

ما جاء من صور أخرى في كتب العربية وساوردها مرتبة بحسب
أوائل المواد التي وردت فيها في تلك المظان :

أثر : جاء في دعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — عليه السلام —
على الخوارج قوله :

« ولا بقي منكم أثر » أي مخبر يروي الحديث .

أرب :

وفي حديث عمر - رضي الله عنه - : انه نقم على رجل قولا
قاله ، فقال له : أربت عن ذي يدك ، معناه : ذهب ما في يدك
حتى تحتاج .

وفي خبر ابن مسعود : ان رجلا اعترض النبي - صلى الله عليه
وسلم فصاح به الناس ، فقال - عليه السلام - : دعوا الرجل أرب
ماله ، أي سقطت أعضاؤه وأصيب .

قال . وهي كلمة تقولها العرب ولا يراد بها ، اذا قبلت ، وقوع
الامر كما يقال :

عقرى وحلقى ، وقولهم : تربت يدك .

قال ابن الأثير : في هذه اللفظة ثلاث روايات :

أحداها « أرب » بوزن « علم » ومعناه الدعاء عليه ، أي أصيبت
أربابه وسقطت ، وهي كلمة لا يراد بها وقوع الامر ، كما يقال :
تربت يدك ، وقاتله الله ، وانما تذكر في معنى التعجب .

قال : وفي هذا الدعاء من النبي - صلى الله عليه وسلم - قولان :
أحدهما : تعجبه من حرص السائل ومزاحمته .

والثاني : انه لما رآه بهذه الحال من الحرص غلبه طبع البشرية،
فدعاه عليه .

وقد قال في غير هذا الحديث : اللهم انما انا بشر فمن دعوت
عليه فاجعل دعائي رحمة .

أمت :

قال سيبويه : قالوا أمت في الحجر لأنك ، أي ليكن الامت نسي
الحجارة لا نيك ،

ومعناه : أبقاك الله بعد فناء الحجارة ، وهي مما يوصف بالخلود
والبقاء .

ورفعوه وإن كان فيه معنى الدعاء ، لأنه ليس بجار على
الفعل ، وصار كقولك : التراب له ، وحسن الابتداء بالنكرة ، لأنه في
قوة الدعاء .

اقول : وفي هذه العبارة التي تنصرف الى الدعاء لون من ألوان
صلة اللغة وأشكالها الأدبية بالبيئة ، ومثل هذه البيئة البدوية الشيء
الكثير الذي أبقته العربية في أدبها شعراً ونثراً ومثلاً وغير ذلك .

أوب :

ويقال : للداخل : طوبة وأوبة .

بؤس :

وقالوا : بؤس له ، في حد الدعاء ، وهو مما انتصب على أخصار
الفعل غير المستعمل إظهاره .

وقالوا : جوسا له وبوسا . والجوس الجوع وستاتي .

برك :

والتبريك : الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة .

يقال : بركت عليه تبريكا أي قلت له : بارك الله عليك . وبارك
الله الشيء وبارك فيه وعليه : وضع فيه البركة .

وفي التنزيل العزيز : وباركنا عليه .

ومن هذا ما هو جار في اللغة المعاصرة فهم يقولون دعاء : بارك
الله فيك ، وبورك فيك ، وبوركنت .

بجل :

قال طرفة :

الا انني شربت اسود حالكا الا بجلي من الشراب الا بجل

قال : اراد الماء ،

وقال شمر : وقيل اراد سقيت سم اسود .

بعمد :

والعمد : الهلاك ، وقد مر في الكلام على لغة التنزيل .

ببلس :

ويقال : ارايتك الله على البلس . والبلس غرائر كبار من مسح

يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادي عليه .

تعب :

التعب والتباب : الهلاك والخسران .

وتبا لك نصب على الدعاء كما تقول سقيا لك .

وفي حديث ابي لهب : تبا لك سائر اليوم ، الهذا جمعتنا .

وقد مر بنا هذا الدعاء في لغة التنزيل .

ترب :

يقال : تربا له وجندلا ، وهذا من الاسماء التي تفيد الذات
اجريت مجرى المصادر المنصوبة على اضرار الفعل غير المستعمل
اظهاره في الدعاء .

وكانه بدل من قولهم :

تربت يداه وجندلت .

وفي الحديث : « ان النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : تنكح
المرأة ليسمها ولمالها ولحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك » .

قال أبو عبيد : قوله : تربت يداك ، يقال للرجل اذا قل ماله : قد
ترب أي افتر ، حتى لصق بالتراب .
ومنه قوله تعالى : أو مسكينا ذا متربة .

قال : ويرون أن النبي — صلى الله عليه وسلم — لم يعتمد الدعاء
عليه بالفقر ، ولكنها كلمة جارية على السن العرب يقولونها ، وهم لا
يريدون بها الدعاء على المخاطب ولا وقوع الامر بها .

وقيل معناها لله درك ، وقيل : اراد به المثل ليرى المأمور بذلك
الجد ، وأنه أن خالفه فقد أساء .

وقيل : هو دعاء على الحقيقة ، فانه قد قال لعائشة — رضي

الله عنها :

تربت يمينك ، لانه رأى الحاجة خيرا لها .

قال : والاول الوجه . وبعضه قوله في حديث خزيمة رضي الله
عنه : أنعم صباحا تربت يداك ، فان هذا دعاء له وترغيب في استعماله

ما تقدمت الوصية به . الاتراه قال : أنعم صبيحاً ، ثم عقبه بقوله :
« تربت يدك » .

وكثيراً ما ترد للعرب الفاظ ظاهرها الذم وإنما يريدون بها المدح
كقولهم : لا أب لك ، ولا أم لك ، وهوت أمه ، ولا أرض لك ونحو ذلك .

وقال بعض الناس : أن قولهم : تربت يدك يريد به استغنت
يدك .

قال : وهذا خطأ لا يجوز في الكلام ، ولو كان قال لقال :
أتربت يدك .

ترك :

والترك : العذق إذا نفض فلم يبق فيه شيء ، ولا بارك الله فيه
ولا تارك ولا دارك كله اتباع .

وجاء في أراجيزهم المشهورة في شواهد العربية :

لقد رايت عجباً مذامساً
عجائزاً مثل السعالي خمساً
ياكلن ما في رحلهن همساً
لا ترك الله لهن ضرماً
ولا لقين الدهر الا تعساً

تعس :

لقد مر بنا في قوله تعالى :
« فتعسا لهم وأضل أعمالهم » .
وأصل التعس العثر .
وقال الشاعر :

وأرما هم ينهزهم نهز جمة يقطن لمن أدركن تعسا ولا لما .

على أن استعمال « التمس » وإرادة الدعاء فيه قد بقي في اللغة المعاصرة وإن جهل العربون أنه دعاء ، فيقال مثلا : تمس لك .
ويقال : تمس له ونكسا .

والنكس والنكاس : العود في المرض .

وفي حديث أبي هريرة : « تمس عبد الدينار وانتكس أي انقلب على رأسه ، وهو دعاء عليه بالخيبة .

توس :

ويقال : توسا لك ، مثل قولهم : بوسا لك ، وقد مر بنا ذلك .

توب :

التماس التوبة في أحاديث الدعاء كثير ، كقولهم : اللهم اغفر لنا ذنوبنا وتب علينا ...

وفي دعاء السفر : يقال :

توبا لربنا أوبا ، أي توبا راجعا مكررا .

تكل :

يقال في الدعاء على رجل :

تكلتك أمك .

والتكل : الموت والهلاك . والام تاكل وتكول وتكلى .

وفي الحديث أنه قال لبعض أصحابه : تكلتك أمك أي فقدتك ، والتكل فقد الولد .

ولا يقال : تكلك أبوك .

على أنه يقال في الدعاء : لا أب لك كما يقال لا أم لك .

وقال أبو علي : « لا أبالك » كلام جرى مجرى المثل ، وذلك أنك إذا قلت هذا فأنك لا تنفي في الحقيقة أباه ، وإنما تخرجه مخرج الدعاء عليه ، أي أنت عندي من يستحق أن يدعى عليه بفقد أبيه ، وأنشد توكيدا لما أراد من هذا المعنى قوله :

ويترك أخرى فردة لا أخا لها .

ولم يقل : لا أخت لها ، ولكن لما جرى هذا الكلام على أمواهم : لا أبالك ولا أخاك قيل مع المؤنث على حسد ما يكون عليه مع المذكر ، فجرى هذا نحواً من قولهم لكل أحد من ذكر وأنثى أو اثنين أو جماعة : الصيف ضيعت اللبن .

ويؤكد عندك خروج هذا الكلام مخرج المثل كثرته في الشعر ، وأنه يقال لمن له أب وابن لا أب له ، لأنه إذا كان لا أب له لم يجز أن يدعى عليه بما هو فيه لا محالة ، ألا ترى أنك لا تقول للفقير أفقره الله ؟ فكما لا يقول لمن لا أب له : أفقدك الله أباك ، كذلك تعلم أن قولهم لمن لا أب له : « لا أبالك » لا حقيقة لمعناه مطابقة للفظه ، وإنما هي خارجة مخرج المثل على ما فسرهُ أبو علي ، قال عنتره :

فأقني حياءك لا أبالك ! وأعلمي أنني امرؤ ساموت ، أن لم أقتل

وقال المتلمس :

لق الصحيفة ، لا أبالك ، أنه يخشى عليك من الجباء النقرس

ويدلك على أن هذا ليس بحقيقة قول جرير :

يا تيم تيم عدي لا أبالك لا يلتينكم في سوء عمر

فهذا أقوى دليل على أن هذا القول مثل لا حقيقة له ، إلا ترى
أنه لا يجوز أن يكون للتيم كلها أب واحد ، ولكتم أهل للدعاء عليه
والإغلاظ له ؟

وروي عن النضر بن شميل : أنه سأل الخليل عن قول العرب :
لا أب لك ، فقال : معناه لا كافي لك .

وقال الفراء : قولهم : « لا أب لك » كلمة تنصل بها العرب
كلامها .

أقول : ومقالة الفراء ذات قيمة ولو أنك قرأت قول زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثماتين حولا ، لا أب لك ، يسأم
أحسست أن قوله : « لا أب لك » كلام معترض لا يدل على
خصوصية معنوية ، بل هو تعبير جميل استحسنوه فاستعملوه كثيرا
واقیم به الوزن في البيت .

الآن ترى أن قولهم في الشعر : هديت ووقيت ونحوها شيء يتم به
الوزن وليس من إرادة للدعاء .

أما قولهم : لا أم لك فقد ورد في حديث ابن عباس أنه قال لرجل :
« لا أم لك » قال : هو ذم وسب ، أي أنت لقيط لا تعرف لك أم ،
وقيل قد يقع مدحا بمعنى التعجب منه .

أقول : وهذا الشيء الآخر ، وهو أن عبارة الذم الدعائية يراد
بها المدح ، جارية في اللسان العامة الدارجة ، ألا تراهم يقولون :
يخرب بيتك أو انهجم بيتك ، أو الله يلعنك إرادة المدح على طريقة
التمجيب ؟

ثَلَب :

والإثلب أو الاتلب : التراب .

وقالوا : بفيه الاتلب على الدعاء ، كأنهم قالوا بفيه التراب أو الحجر .

وقالوا : الاتلب لك والتراب ، والنصب على الدعاء كأنه مصدر .

وهكذا نرى أن « التراب » وما في معناه أو يقرب منه قد دخل في

اللغة القديمة في السبب والشتم والذم فخرج على الدعاء ، وقد مر

بنا قولهم : تربت يداك .

جحد :

والجحد : القلة من كل شيء .

ونكدا له وجحدا دعاء عليه .

جرب :

والعرب تقول في دعائها على الإنسان : ما له حرب وجرب .

والحرب كالكلب ، وقوم حربى كلبى والفعل كالفعل .

والجرب معروف .

جندل :

انظر : تريا وجندلا الذي مر بنا قبل صفحات .

جوس :

انظر « بؤس » .

حرب :

انظر جرب .

حرر :

تقول العرب : ما له أحر الله صدره ، وذلك في الدعاء على الإنسان .

ويقولون أيضا

رماه الله بالحرة والقرة ، أي بالعطش والبرد .

خلق :

ومما يدعى على المرأة قولهم : عقرى خلقى وعقرا خلقا أي عقرها الله وخلقها أي خلق شعرها أو أصابها وجع في خلقها .

حوب :

قالوا : أليك أرفع حوبتي أي حاجتي ، وفي رواية : نرفع حوبتنا اليك .

وفي الدعاء على الإنسان :

الحق الله بك الحوبة ، أي الحاجة والمسكنة والفقير .

حوج :

يقال للمأثر : حوجا لك أي سلامة ، وقد مر بنا هذا .

خضر :

ويقال في الدعاء : أباد الله خضراءهم ، أي سوادهم ومعظمهم ، وقبيل : خصبهم وسعتهم .

وقالوا أيضا : رمى الله في عيني فلان بالأخضر ، وهو داء يأخذ العين .

خطأ :

في حديث ابن عباس : انه سئل عن رجل جعل أمر امرأته بيدها فقالت : أنت طالق ثلاثا . فقال : خطأ الله نواها ألا طلقت نفسها .

ويقال لمن طلب حاجة فلم ينجح : أخطأ نوؤك ، أراد الله نواها مخطئاً لا يصيبها مطره .

ويروى : خطى الله نواها ، بلا همز .

خلب :

وفي حديث الاستسقاء : اللهم سقيا غير خلب .

خير :

ومن دعائهم في النكاح : على يدي الخير واليمن .

قرا :

وجاء : اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرا وبرا .

رفا :

قالوا : بالرفاء والبنين في الدعاء للملك وقد مر بنا انظرها قبل صفحات .

رفع :

انظر الموضوع نفسه (رفا) .

رقا :

وروى المنذري عن أبي طالب في قولهم : لا أرقا الله دمعته ، قال : معناه لا رفع الله دمعته .

وفي حديث عائشة — رضي الله عنها — : نبت ليلتي لا يرقأ لي دمع .

ورقات الدمعة ترقأ ورتقوا : جفت وانتقطعت .

سحق :

ويقال : سحقا لهم اي هلاكاً ، وانظر ما جاء من هذا في لغة التنزيل مما افاد الدعاء وقد ذكر قبل صفحات .

سلم :

مر بنا حديث « السلام » ودلالته في الدعاء في جملة آيات كريمة .

طمس :

مر بنا في الكلام على ما في آي القرآن من الدعاء .

طوب :

سبق الكلام على « طوبى لهم » .

ظبي :

(وانظر عدد) :

وقولهم : به لا بظبي ، يراد به الهلكة كما ورد في قول الفرزدق يخاطب مسكينا الدارمي وكان قد رثى زياد بن ابيه فقال :

امسكين ، أبكى الله عينك انما جرى في ضلال دمعها فتحدرا

أقول له لما أثناني نعيمه به لا بظبي بالصريمة اغفرا

أتبكي امرا من آل ميسان كافرا ككسرى على عدائه او كتقيصرا

عشج :

وجاء في تلبية بعض العرب في الجاهلية :

لا هم لولا أن بكرا دونكا
يعبدك الناس ويفجرونكا
ما زال منا عثج ياتونكا

والعثج ، بفتحتين ، : الجماعة من الناس .

عقر :

انظر « حلق » .

وجاء أيضا :

وقالت أم سلمة لعائشة — رضي الله عنها — عند خروجها
إلى البصرة :

سكن الله عقيرك فلا تحريها ، أي أسكنك الله بيتك وعقارك
وسترك فيه فلا تبرزيه .

عمي :

قالوا : وإذا أرشدك إنسان الطريق فقل :

لا يعم عليك الرشد .

وهو دعاء له بالخير والهدى .

عمر :

وعمره الله وعمره أي أبقيه ، على الدعاء .

غبط :

وجاء في الدعاء : اللهم غبطا لا هبطا ، أي نسألك الغبطة ونعوذ
بك أن نهبط عن حالتنا .

غرب :

وجاء في دعاء ابن هبيرة :

اعوذ بك من كل شيطان مستغرب وكل نبطي مستعرب .

غضر :

ويقال اباد الله غضراءهم ، اي سمعتهم وخصبهم .

غفر :

غفار ! غفر الله لها .

قال ابن الأثير : يحتل أن يكون دعاء لها بالمغفرة او اخبارا أن

الله تعالى قد غفر لها .

غور :

وقالوا : غارهم الله بخير اي اصابهم بخصب وغيث .

وفي الدعاء : اللهم غرنا منك بغيث وبخير .

فدي :

ويقال : فدى لك اهلي ، على الدعاء اي يفديك اهلي .

ويقال : فداك ابي كما يقال : فديت .

وكثيرا ما نقرأ : جعلت فداك .

وانشد الاصمعي للنافقة :

مهلا ! فداء لك الاقوام كلهم وما اثم من مال ومن ولد

ومنه قول نفيلة الاكبر الاشحمي (أزر) :

الا ابلغ ابا حفص حفص رسولا فدى لك من أخي ثقة ازاري

قتل :

انظر ما جاء من أسلوب الدعاء في أدب القرآن الكريم .

قذي :

وجاء قول جميل :

رمى الله في عيني بثينة بالقذي وفي الخسر من أنيابها بالقوادح

قرر :

ويقال : أقر الله عينه ، من المقرر وهو الماء البارد .

كككث :

وروي عن صفوان بن أمية أنه قال يوم حنين عند الجولة التي كانت من المسلمين ، فقال أبو سفيان : غلبت والله هوزان ، فأجابه صفوان وقال :

بفيك الكككث لان يريني رجل من قريش أحب الي من ان يريني رجل من هوزان .

كلا :

وقال الشاعر :

ان سليبي والله يكلؤها ضنت بزاد ما كان يرزوها

لحي :

وفي حديث لقمان : فلحيا لصاحبنا لحيا اي لومنا وعذلا ، وهو نصب على المصدر كسقيا ورعيا .

وتقال عنقرة :

للم تعلم لحاك الله اني اجسم اذا لقيت ذوي الرماح

لقي :

انظر « ترك » .

نفس :

وجاء في الدعاء : اللهم نفس عني ، اي فرج عني ووسع علي .

نكد :

انظر « جدد »

هبل :

الهبل : الثكل ، وهبلته أمه بمعنى ثكلته .

وهبلتك أمك على الدعاء .

وفي حديث عمر — رضى الله عنه — حين فضل الوادعي سهمان
الخيول على المقاريب فاعجبه فقال : هبلت الوادعي أمه لقد اذكرت به !

فالثكل هو الاصل في المعنى ، ثم يستعمل في معنى المدح والاعجاب ،
يعني ما اعلمه وما اصوب رايه .

وفي حديث الشعبي : فقيل لامك الهبل .

هنا :

وتالوا : هنتت ولا تنكأ ، اي هناك الله بما نلت ولا اصابك وجع .

وتالوا : لا هناك المرتع ، اي لا اصبت خيرا .

هوي :

وقال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه :

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حتى يؤوب

ومعنى هوت أمه أي هلكت أمه .

وما زال هذا الدعاء معروفا لدى الأمهات في العراق في لغتهن

الدارجة حين يعلمن بوفاة شاب يقلن : ماتت أمه .

ويب :

كلمة مثل ويل يراد بها التعجب .

وييا لهذا الامر أي عجا .

ووييا لزيد مثل وويلا لزيد .

ومنه قول كعب بن زهير :

الا ابلغنا عني بجيرا رسالة علي أي شيء ويب غيرك دلكا ؟

ويل :

كلمة مثل ويح الا انها كلمة مذاب ، ومن هنا وردت في اسلوب

الدعاء في قوله تعالى :

ويل للمطففين ...

وقوله : ويل لكل همزة لمزة .

وفي آيات أخرى :

وقالوا : ويله والاصل : ويل لأمه نحذف اللام ثم الهمزة وركبت

الكلمتان على طريقة النحت .

ومن اقوال النبي — صلى الله عليه وسلم — : ويلمه مبهر
حرب .

أقول : هذه نماذج بل شذرات من العربية مما استقرت من
« لسان العرب » وغيره تشتمل على أسلوب الدعاء في العربية .

وعندي ان الالفاظ التي تقدم بين يدي الملك والامير والرئيس
والعالم الجليل وغير هؤلاء من اهل الشأن ضرب من أسلوب الدعاء
في العربية المعاصرة نحو :

جلالة الملك .

ومعالي الوزير .

وسيادة الرئيس أو فخامته .

وسعادة الامير .

وسماحة العالم ، ونيافة الخبر .

وبعد ألم يتوصل النابغة الذبياني الى التعمان مخاطبا بقوله :

اتاني ابيت اللعن انك لتنسي وتلك التي تبستك منها المسامح

ثم اني قد وجدت من فيض هذه العربية السمحة ما يحق للمرء
ان يملأ ماضيه فخرا اذا قرا مستمتعا بعض ما ورد من بيان
التوحيد في « اشاراته الالهية » فوجد من مادة الدعاء اعلاق العربية
النفيسة .

اللهم اني قد خدمت كتابك الكريم واللغة العلية التي جاءت فيه
فاكتبني مع الصالحين .

د. ابراهيم السامرائي